

الإـلـيـاء 20-01-2010

873- لـهـات تـشـكـيلـيـة ولـيـست طـلاقـتـ (سـوـفـ نـكـرـ هـذـا التـنـوـيـةـ كـلـ مـوـةـ)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصاً بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراثكم الحبرى، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

اللوحة (17)

الـبـالـرـاحـة~!!!

الرق "بالراحة"، هو تعبير من بلدنا، وهو ذلك النوع من الرى الذى لا تستعمل فيه آية آلة (ولا حتى الطنبور أو الخلزوننة). لا يكن الرى بهذه الراحة إلا حين يكون مستوى الماء في الترعة أعلى من مستوى الأرض، ويكتفى الفلاح أن "يقطع" مدخل المياه من الترعة فتناسب المياه إلى الأرض "بالراحة".

كانت هذه اللوحة التشكيلية، لصاحبة هذه العيون التي تملّك هذه القدرة التي تسمح بأن ينساب نهر حناتها وحبها وطيبتها إلى كل من يطلب منها "شفطة" مياه، سواء كان عطشاناً، أم كان يرى هذه السيدة الكريمة سبيلاً من حقد أن يأخذ منه نصيبه "بالراحة"، وكانت هي تكاد لا تمانع بنفس السهولة والكرم، وحين همت أن تقصص بعض الجارى، اكتشفت التناقض بين ما دار بخلي، وبين ما أنا أبήج صوتي به ليل نهار لأبين صعوبة العلاقات البشرية، وأظهرت مدى التناقضات الشائكة والمحيرة، التي تحفز إلى المثابرة المستمرة، حتى تحول أسمهم المواجهة المتصادمة في التواصل البشري إلى حرکية الجدل فالنمو المتعدد.

كنت أتعجب من صاحبة هذه العيون التي لا تضع شروطاً ولا مواصفات لمن تغرقه عياله حناتها وغمراً دفتها.

ما هذا الذي تمنحه هذه السيدة الفاضلة؟

هل هو الحب الذي نتحدث عنه أم شيء آخر؟

ملأـيـ العـجـبـ وـأـنـاـ أـصـفـ الجـارـيـ (أـوـ المـتـخيـلـ)ـ
وـالـنـظـرـهـ دـىـ رـخـرـهـ عـجـبـ.

مـاـ باـشـوـفـشـ فـيـهاـ إـلـاشـ كـمـاـ حـنـانـ.
لـاـ لـهـ شـرـوطـ وـلـاـ سـبـبـ.

وـأـقـولـ لـنـفـسـيـ يـاـ تـرـىـ
هـوـاـ حـنـانـ الدـنـيـاـ كـلـهـ اـجـمـعـ اللـيـلـهـ هـنـاـ؟
عـمـالـ بـيـغـمـرـتـاـ كـدـهـ مـنـ غـيرـ جـسـابـ،
كـمـاـ تـرـغـهـ سـابـثـ فـيـ الغـيـطـانـ،
إـلـىـ بـطـونـهـ اـتـشـقـقـتـ

الـحـاجـةـ إـلـىـ حـنـانـ حـاجـةـ مـلـحـةـ وـشـامـلـةـ .. وـهـىـ تـحـتـدـ فـيـ الـخـزـينـ ،
وـالـوـحـيدـ، وـالـمـنـعـزـلـ، كـمـاـ أـنـهـ تـظـهـرـ تـلـقـائـيـاـ مـثـلـمـاـ تـحـتـاجـ أـيـ أـرـضـ
إـلـىـ مـيـاهـ الرـىـ، كـمـاـ أـنـ هـذـهـ حـاجـةـ تـحـتـدـ أـكـثـرـ بـعـدـ تـوـالـيـ الـإـحـبـاطـ
..، وـعـنـدـ شـدـةـ الـاحـتـيـاجـ، كـمـاـ أـنـ كـلـ هـؤـلـاءـ، يـعـمـونـ عـادـةـ عنـ
إـسـكـالـةـ طـبـيعـةـ هـذـاـ الـحـبـ السـهـلـ الـمـنـسـابـ بـلـ حـسـابـ.

فـ قـرـيـتـ أـيـضاـ، تـرـكـ الـأـرـضـ مـدـداـ طـوـيـلـةـ فـ فـصـلـ الـجـفـافـ حـتـىـ
تـشـقـقـ تـعـامـاـ جـوـعاـ إـلـىـ الـمـيـاهـ، وـيـفـيـدـ هـذـاـ جـوـعـ فـ أـنـ يـعـرـضـ
بـاطـنـ الشـقـوقـ لـلـهـوـاءـ وـالـشـمـسـ بـدـرـجـةـ يـجـعـلـهـاـ أـكـثـرـ خـصـوـيـةـ
إـلـىـ اـثـارـاـ، وـحـينـ يـأـتـيـ وقتـ الرـىـ بـعـدـ فـتـرـةـ مـعـلـوـمـةـ، يـقـالـ إـنـ
الـفـلـاحـ "يـطـقـيـ" الشـرـاقـيـ، وـهـوـ تـعـبـيرـ خـتـلـفـ عـنـ "يـرـوـيـ الـأـرـضـ"ـ،
أـنـهـ فـعـلاـ يـغـمـرـ هـذـهـ الـأـرـضـ المـتـشـقـقـةـ مـنـ الـجـفـافـ، الـمـلـتـهـبـةـ مـنـ
الـتـعـرـضـ لـلـشـمـسـ الـمـشـاتـقـةـ إـلـىـ الـمـيـاهـ، بـطـفـئـهـاـ غـمـرـاـ بـمـاـ يـمـلـأـ
شـقـوقـهـاـ حـتـىـ تـفـيـضـ، وـتـشـبـعـ، وـهـذـاـ الـغـمـرـ يـقـومـ بـوـظـيفـتـهـ.
الـتـخـصـيـبـيـةـ اـسـتـعـدـادـاـ لـلـزـرـاعـةـ الـمـنـاسـبـةـ.

الـمـقـابـلـ فـ كـرـمـ طـوـفـانـ حـنـانـ هـذـهـ السـيـدةـ - وـمـنـ مـثـلـهـ -
وـصـلـىـ مـنـ مـلـاحـظـتـيـ أـنـ الـغـالـبـيـةـ الـغـالـبـةـ تـطـلـبـ، وـتـسـعـىـ إـلـيـهـ،
سـوـاءـ فـيـ الـحـيـاةـ، أـوـ فـيـ مـقـامـ الـعـلـاجـ الـنـفـسـيـ، وـنـشـرـتـ أـنـ هـذـاـ
حـقـهـمـ مـنـ حـيـثـ الـمـبـدـأـ، سـوـاءـ كـانـ طـالـبـ الـاـرـتوـاءـ: قـلـباـ حـزـينـاـ،
أـوـ قـلـباـ وـحـيدـاـ، أـوـ قـلـباـ جـفـ وـتـقـشـفـ، أـوـ قـلـباـ جـرـوـحـاـ "مـنـ
عـمـاـيلـ النـاسـ"ـ، أـوـ قـلـباـ مـتـهـالـكـ "مـتـمـهـطـاـ"ـ مـنـ كـثـرـةـ
الـقـهـرـ وـالـتـمـزـيقـ وـالـإـهـانـةـ وـالـاستـهـانـةـ، أـوـ قـلـباـ مـنـبـودـاـ
مـوـصـومـاـ بـالـتـجاـزـوـ أـوـ حـتـىـ بـالـهـرـطـقـةـ بـجـرـدـ أـنـهـ تـجـرـأـ عـلـىـ النـظـرـ
فـ الـمـقـدـسـاتـ، أـوـ نـقـدـ الـسـلـطـةـ، أـوـ قـلـباـ مـبـدـعـاـ تـجـرـأـ فـكـشـفـ عـنـ
جـانـبـ مـنـ الـحـقـيـقـةـ (مـشـ صـحـ حـقـ الـأـسـطـيـ إـمامـ مـنـ غـفـلـتـهـ، وـالـلـيـ
يـصـحـيـ النـاسـ يـاـ نـاسـ، أـكـبـرـ غـلـطـ)ـ فـلـمـ يـتـلـ إـلـاـ الرـفـضـ وـالـنـبـذـ.
كـلـ هـؤـلـاءـ يـثـلـوـنـ جـمـهـورـ الـعـطـاشـيـ الـذـيـنـ يـتـقـبـلـوـنـ الـغـمـرـ مـنـ
مـصـدرـ الـمـيـاهـ "بـالـرـاحـةـ"ـ بـدـوـنـ تـبـيـيزـ، وـأـيـضاـ بـلـ صـعـوبـةـ.

لـكـ هـلـ يـرـتـوـونـ هـكـنـاـ بـدـوـنـ جـهـدـ مـنـ جـانـبـهـمـ؟ـ بـدـوـنـ
إـسـهـامـهـمـ فـ السـعـىـ إـلـىـ الـرـىـ؟ـ نـاهـيـكـ عـنـ قـمـلـ أـنـ تـكـوـنـ الـعـلـاقـةـ
مـتـكـافـنـةـ، وـالـمـسـؤـلـيـةـ مـشـتـكـةـ؟ـ

في كثير من الأحيان يأتي المريض طلبا للعلاج ليرتاح، ليعتمد، ليجد الحل جاهزا، والتفسير مقنعا، والعقدة لها من يجعلها دون أن يشارك هو بالقدر الكاف في ذلك، وقد تجلى ذلك تماماً في نشرة سابقة (**نشرة 2010-1-6 "نيحاتيف" إنسان، وتعريفة قاسية صادقة**) وقد يتحقق له ذلك، أو بعض ذلك في بداية رحلة العلاج، أو مع تعاطي بعض المسكنات، أو المربيات من عقاقير وساح، لكن العلاج الحقيقي، مثله مثل التربية والنموا في أي مجال يتطلب غير ذلك، ويجرى في طريق مختلف.

والمآلية بالراحة بتطفي في "الشارقي"

من دون ولا ساقية تبُرُّ،

ولا قادوس ولا شادوف.

المية تغمر والختان يبكي القلب الحزين،

والقلب إلى ما المؤوش حبيب،

والقلب إلى من عمايل الناس بقى حلة خشب،

والقلب إلى اتھمطت دقاته أصبح مثل كوره من الشراب،

تضريها رجلين العيال طول النهار.

وان جت على أزار ام هاشم يبقى يوم أزرق وطين،

يالكوره تتشرمط يا إما ان العيال يتفركشوا.

حتى إذا أزار "ام هاشم" ما اتكسرش.

مش صحت "الأسطى إمام" من غفلته.

"واللئي يصحي الناس يناس أكبر غلط!"

هؤلاء العطاشى لا يرتون عادة "بالراحة" مجرد أن لهم حقهم في الرى، قد يخدرن أو يهدأون، لكن الارتواء شيء آخر، مع التأكيد أنهم عطاشى فعلا ، بغير ذنب جنوه غالبا! إذن ماذا؟

في خبرتي، لاحظت أن هذا الحب السهل الجاهز، حتى عند معالجة نفسى طيب، ليس هو الذى يلزم المريض لينمو به ومن خالله، هو حب أقرب إلى الفيف الذى لا يتوجه تجديدا إلى واحد بذاته، ليس بمعنى القدرة على الحب، ولكن بمعنى أن هذا الغامر بلا تمييز لا يجدد الفروق الفردية في الذات المعنية (الموضوع)، موضوع الحب، بل إنه يغمر من مجده دون تفرقة: "من يعطش يشرب" (وخلاله)، فهل يا ترى هذا هو الحب الذى يميز الكائن البشري بما سبق أن أشرنا إليه من أنه اكتسب الوعي، ثم الوعي بالوعي، ثم هو يثابر طول الوقت، ليتميز الموضوع "كما هو"، كما أشرنا في اللوحة السابقة؟ (**نشرة 2010-1-13 "نيحاتيف" إنسان، وتعريفة قاسية صادقة 2" حوار: د. جمال التركى د. يحيى الرخاوي**) هل هذا هو الحب الذى يحاول أن

ينمو باضطراد حتى يقلب "الموضوع الذاتي" إلى "موضوع حقيقي" يسمح بعلاقة بشرية تليق بالبشر؟ هل لهذا الغمر دون تمييز ودون جهد عمر يسمح بتطوره، لنتغير من خلاله إلى ما هو أكثر مسؤولية، وأقوى اقتراباً من بعضنا البعض، وأصعب أيضاً؟

وارجع أشوف نهر الخنان

القاـه بيـطـفـى فـي الشـرـاقـى بـدـون "أـوـان"

لـكـن الشـرـاقـى مـهـما شـقـقـها الجـفـافـ؛

المـيـه رـاح تـروـيـها ضـخـ،

لـكـن كـمـانـ

إن سـابـت المـيـه عـلـى العـمـالـ على البـطـاـلـ حـاـتـغـرـق أـرـضـاـ،

حتـى لو الأـرـضـ شـرـاقـى مـشـقـقـهـ،

وـلـأـ الزـرـاعـة بـدـون أـصـولـ؟

مشـلـازـمـ الأـرـضـ قـجـفـ وـتـعـزـقـ؟ـ؟ـ

أـوـ ضـرـبـةـ المـرـاثـ تـفـقـقـ الأـرـضـ تـقـلـبـ تـبـرـهاـ؟ـ

في العلاج النفسي ، مثلما هو الحال في التربية والنمو، يكون عامل التوقيت من أهم العوامل، إن لم يكن أهمها في دفع النمو (والشفاء) في مساره الطبيعي، والمتبوع لما نشره هنا في هذه النشرة في باب "التدريب عن بعد" لا بد أنه لاحظ أن كثيراً من التوصيات، والتوجيهات، والاستشارات، تنتهي ليس إلى أن علينا أن نفعل كذا أو كيت، بقدر ما تنتهي إلى "متى نفعل ما تقرر أن نفعله"، أي متى يكون القرار فاعلا، فيكون صوابا، ومتى يكون نفس القرار خطأ في وقت آخر، وهكذا، أضف إلى ذلك عامل "الوقت" اللازم لسبك عملية النمو مع التذكرة بأن "الوقت" غير التوقيت.

لا يمكن أن يتم ثُو بـدون وقت، فـنـزـاتـ التـغـيرـ لها دـلـلـتهاـ الرـائـعـةـ، لـكـنـهاـ وـحـدهـاـ، بـدـونـ أـنـ يـتمـ الإـعـدـادـ لهاـ فيـ وقتـ كـافـ لإـنـضـاجـهاـ، وـبـدـونـ أـنـ يـلـحـقـهاـ بـعـدـهاـ فعلـ منـاسـبـ لـاستـثـمارـهاـ، لاـ تـدـلـ عـلـىـ شـيـءـ إـيجـابـيـ بالـفـرـورـةـ.

وارجع أشوف نهر الخنان

القاـه بيـطـفـى فـي الشـرـاقـى بـدـون "أـوـانـ" ،

بـدـونـ أـوـانـ هـنـاـ، إـشـارـةـ إـلـىـ سـوءـ التـوقـيتـ،

نـتـكـلـمـ دـائـماـ فـيـ العـلـاجـ النـفـسـيـ وـالـتـرـبـيـةـ وـالـنـمـوـ عنـ "الجرعة"ـ، إـضـافـةـ إـلـىـ التـوـقـيتـ، عنـ أـنـ ضـبـطـ جـرـعـاتـ الدـعـمـ الـمـباـشـرـ، وـجـرـعـةـ الـمـسـافـةـ، وـجـرـعـةـ النـصـحـ، (نشرـةـ 9-12-2009)ـ "تسـوـلـ أـخـ، وـالـاعـتـمـادـيـةـ الرـضـيـعـيـةـ"ـ "1ـ مـنـ 2ـ"ـ لاـ يـقـلـ أـمـيـةـ وـحـسـاسـيـةـ عـنـ ضـبـطـ جـرـعـةـ الدـوـاءـ،

شعرت من هذه الخبرة أيضاً أن فرط غمر الحناء هكذا قد يأتي بعكس الرى، وهو الغرق.

لـكن الشـرـاقـى مـهـما شـقـقـها الجـفـافـ:

المـيـه رـاح تـروـيـها ضـخـ،

لـكن كـمـانـ

إن سـابـتـ المـيـه عـلـى العـمـالـ على البـطـاـلـ حـاـتـغـرـقـ أـرـضـاـ،

حـتـىـ لـوـ الأـرـضـ شـرـاقـى مـشـقـقـهـ،

وـلـأـ الزـرـاعـةـ بـدـونـ أـشـوـنـ؟

أصول الزراعة، مثل أصول التربية، مثل أصول العلاج النفسي: لا بد لها من الإعداد، والتدرب، وضبط جرعة المسافة المتغيرة، وتسميد الأرض مثل تسميد الوعي، ثم خذ عندك تقليب التربية ، وخطيط الخطوط، مثل تعنعة الوعي، ورسم المسار في التربية والعلاج النفسي (بل والإبداع) . إذن فالمسئلة ليست غمرا بالحب والحنان والود والإراحة، يقدر ما هي خطيط مناسب لحركية الوعي بمستوياته "معاً" ، وتحريك منضبط على مسار معقد، هذا ما يشير إليه المتن هكذا :

مش لازـمـ الأـرـضـ بـجـفـ وـتـعـزـقـ؟!

أـوـ ضـرـبـةـ المـرـاثـ تـشـقـ الأـرـضـ تـقـلـبـ تـبـرـهـاـ؟!

العلاج النفسي كما أشرنا، يحتاج - بالإضافة إلى عاملي الوقت والتوقيت الذي ذكرناهما حالاً- إلى خطوات منتظمة ، وإلى ضبط العواطف وأحياناً منعها حتى تجف الأرض، ليس بالإهمال ولكن بالحساب، ثم إلى جرعات منتظمة من الألم والعمل (العزيزق) أو جرعات قاسية من الرؤية العميقـةـ للوصول إلى الجوهر (ضرـبةـ المـرـاثـ تـشـقـ الأرضـ تـقـلـبـ تـبـرـهـاـ)

كما لاحظنا في النشرة قبل السابقة (**الحالـةـ 16ـ "نيـجـاتـيفـ"** إنسـانـ، وـتـعـرـيـةـ قـاسـيـةـ صـادـقـةـ "الـخـلـةـ الـأـوـلـىـ")، أن سوءـ فـهـمـ العـلـاجـ النـفـسـيـ، يـؤـدـيـ إـلـىـ فـرـطـ الـاعـتمـادـيـةـ، وـانتـظـارـ اـخـلـ السـحـرـىـ مـنـ الـمـعـالـجـ، كـمـاـ أـنـ أـغـلـبـ النـاسـ، وـبعـضـ الـأـطـبـاءـ وـالـمـعـالـجـينـ، يـتـجـنـبـونـ كـلـ مـاـ يـؤـمـنـ الـمـرـيفـ، وـمـنـ نـكـرـ باـسـتـمـارـ آـنـهـ لـاـ يـمـكـنـ عـلـمـ عـلـاقـةـ حـقـيقـيـةـ بـيـنـ الـبـشـرـ بـدـونـ صـعـوبـةـ حـقـيقـيـةـ، وـلـاـ يـوـجـدـ غـوـ بـدـونـ أـلـمـ، وـمـعـ ذـلـكـ فـيـانـ الإـلـعـامـ وـبعـضـ التـرـبـويـنـ يـبـالـغـونـ فـيـ التـاكـيدـ عـلـىـ التـفـوـيـتـ، وـالـإـرـاحـةـ، وـمـجـتـجـونـ اـحـتـجـاجـاـ قـوـيـاـ عـلـىـ أـىـ ضـغـطـ، عـلـىـ طـالـبـ النـصـحـ، أـوـ الـمـرـيفـ، مـثـلـمـاـ يـجـتـجـونـ عـلـىـ صـعـوبـةـ الـامـتـحانـاتـ، وـعـلـىـ صـعـوبـةـ الـالتـزـامـ، وـعـلـىـ صـعـوبـةـ انـضـيـاطـ الـمـوـاعـيدـ، كـلـ ذـلـكـ هوـ مـاـ كـتـبـتـهـ فـيـ المـتـنـ اـحـتـجـاجـاـ مـنـ هـذـهـ السـيـدةـ الـكـرـيـعـةـ، وـهـيـ تـنـقـطـ شـفـقـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـسـلـاحـ الـمـرـاثـ يـخـرـقـ طـبـقـاتـهاـ، كـمـاـ تـخـرـقـ رـؤـيـةـ الـمـعـالـجـ وـالـمـرـيفـ نـفـسـهـ طـبـقـاتـ وـعـيـهـ حـينـ يـكـتـبـ الـبـصـيرـةـ، تـخـرـقـ هـذـهـ السـيـدةـ الـكـرـيـعـةـ فـيـ المـتـنـ عـلـىـ أـىـ اـحـتـمـالـ شـدـةـ مـهـماـ كـانـتـ لـازـمـةـ فـتـقولـ:

والنظره إلـى بـثـقـمـرـ الكـونـ بالـخـنـانـ منـ غـيرـ جـسـابـ بـتـقـوـلـ:

"خـرامـ .."

يـاـنـاسـ خـرامـ:

أـرـفـ الشـراـقـىـ مـشـقـقـةـ ، جـاهـزـهـ ،
بـلاـشـ بـخـرـجـ شـعـورـهـاـ بـالـسـلـاخـ..."

أـعـودـ إـلـىـ رـفـضـيـ ماـ يـجـريـ ، وـأـنـاـ أـتـعـجـبـ مـنـ هـذـهـ الشـفـقـةـ الرـجـراـجـةـ ،

يـنبـهـ المـتنـ أـنـ غـمـرـ المـيـاهـ ، لـيـسـ هوـ الرـىـ المـنـاسـبـ ، ثـمـ إـنـهـ
يـحـتـاجـ إـلـىـ "صـرـفـ" سـرـيعـ لـزـائـدـ المـيـاهـ حـتـىـ لـاـ تـفـسـدـ الـبـذـورـ ، وـقـدـ
أـحـلـواـ الرـىـ بـالـتـنـقـيـطـ ، أـوـ بـالـرـاشـ ، مـحـلـ الرـىـ بـالـغـمـرـ حـتـىـ لـاـ
تـفـسـدـ الـبـذـورـ ، وـأـيـضاـ تـوـفـيرـاـ بـجـهـودـ الـصـرـفـ الـضـرـورـيـ الـلـاحـقـ ، بـلـ
إـنـ الـاـهـتـمـامـ بـالـرـىـ الـمـتـدـفـقـ (وـهـوـ مـاـ يـقـابـلـ هـنـاـ: الـخـنـانـ
وـالـشـفـقـةـ وـالـمـبـالـغـةـ فـيـ خـفـيـفـ الـأـمـ عـلـىـ حـسـابـ مـعـانـةـ النـمـوـ فـيـ
الـعـلـاجـ الـنـفـسـيـ) قـدـ يـلـهـيـنـاـ عـنـ ضـرـورةـ وـضـعـ الـبـذـرـةـ اـبـتـداـءـ
(الـبـذـرـةـ فـيـ الـعـلـاجـ الـنـفـسـيـ هـيـ: الـمـعـقـ، حـتـمـ التـغـيـرـ الـنـوـعـ،
إـشـرـاقـةـ الـنـقـلـةـ الـكـيـفـيـةـ...الـخـ) حـتـىـ تـأـتـيـ إـلـاـهـاطـةـ وـالـرـعـاـيـةـ
وـالـتـنـمـيـةـ وـالـخـنـانـ لـتـرـعـاـهـاـ بـعـدـ غـرـسـهـاـ .

مـنـ هـنـاـ فـاـضـ بـيـ فـصـرـخـتـ مـحـتـجاـ:

يـاـ نـاسـ يـاـ هـوـ: بـقـىـ دـاـ كـلـامـ؟ بـقـىـ دـاـ حـنـانـ؟

الـزـرـعـ لـازـمـ يـثـرـوـيـ! أـيـوهـ صـحـيـحـ،!

بـسـ كـمـانـ: الـزـرـعـ لـازـمـ يـثـرـزـ أـوـلـ،

مـاـذـاـ إـلـاـ الـبـذـرـةـ حـاثـلـثـ وـبـسـ.

تـأـكـيدـ جـديـدـ لـنـفـسـ الـمـعـقـ ، وـلـلـأـسـفـ فـهـذـاـ الـمـعـقـ - الـتـلـقـائـيـةـ
بـلـ حدـودـ .. وـيـجـبـ الإـيـلامـ - هـوـ الشـائـعـ فـيـ الـكـذـبـ الـتـىـ كـادـتـ
تـفـيـعـ أـطـفالـنـاـ تـحـتـ اـسـمـ "الـتـرـبـيـةـ الـحـدـيـثـةـ" ، وـهـىـ هـىـ الـتـىـ تـشـوـهـ
مـعـنـ الـعـلـاجـ الـنـفـسـيـ الـبـنـاءـ ، وـتـصـورـهـ وـكـانـهـ جـرـدـ نـزـهـةـ لـلـتـبـرـيرـ
وـالـطـبـطـيـبـةـ ، وـكـثـيرـاـ مـاـ قـاـبـلـتـ شـبـابـاـ وـنسـاءـ كـانـتـ ثـورـتـهـمـ
الـحـقـيـقـيـةـ فـيـ دـاـخـلـ دـاـخـلـهـمـ هـىـ أـنـ الـمـسـئـولـينـ عـنـهـمـ "لـاـ" ، وـأـعـنـ بـهـاـ
"الـلـاـ" الـحـبـةـ الـمـسـنـوـلـةـ مـهـماـ بـدـتـ قـاسـيـةـ أـحـيـانـاـ . وـهـوـ الـعـنـ
الـذـىـ سـوـفـ يـأـتـيـ ذـكـرـهـ فـيـ لـوـحـةـ لـاحـقـةـ "وـغـيـالـ لـيـامـ دـىـ غـلـابـةـ ، لـاـ
فـيـ عـصـاـ تـرـحـمـهـمـ وـلـاـ حـكـمـةـ ، مـنـ مـشـ اـخـانـ!" إـنـ الـغـمـرـ بـالـخـنـانـ إـذـاـ
لـمـ يـسـيقـهـ وـيـلـحـقـهـ وـيـصـاحـبـهـ تـهـيـئـةـ الـنـظـامـ الـتـرـبـويـ الـذـىـ
يـسـتوـعـبـهـ وـيـسـتـفـيدـ مـنـهـ يـصـبـحـ إـطـلاقـاـ لـلـسـلـبـيـاتـ تـحـتـ عـنـاـيـنـ
حـدـيـثـةـ بـرـاقـةـ .

وـهـذـاـ أـعـلـنتـ فـيـ المـتنـ خـوفـ مـنـ أـنـ تـكـونـ هـذـهـ الـعـوـافـتـ
الـمـنـسـابـةـ هـكـذاـ دـوـنـ حـسـابـ ، هـىـ نـوـعـ مـنـ التـخـلـىـ عـنـ مـسـنـوـلـيـةـ
الـعـلـاقـةـ الـمـوـضـوعـيـةـ ، الـمـيـزـةـ ، أـنـ تـكـونـ خـوفـاـ مـنـ هـذـاـ الـمـسـتـوىـ
الـآـخـرـ مـنـ الـجـدـلـ الشـائـكـ ، وـالـخـرـكـةـ الـمـغـامـرـةـ فـيـ إـرـسـاءـ
عـلـاقـةـ بـيـنـ الـبـشـرـ .

وهكذا رجح عندي فرض يعتير أن هذا الحب هكذا "بالراحة" ، ليس إلا خوف من الألم ، ونوع من الهرب من المواجهة ومن التناقض اللازم للحدل العلائقى التطوري ، وأيضا أنه عند للجهد والمشقة . (وتعبير "قلة مفيسش" تعبير سائد عند أولاد البلد عندنا يعني العدم والفراغ .

يا ست ياصاحية بُحور الحب والخير والحنان:

إوعى يكون حبك حبّك دا خوف،

إوعى يكون حبك ده "قللة مافيش".

إوعى يكون حبك طريقة للهرب من ماشكه المَراث،

وضُخيانك بطول الليل ليُغرق زرعنا.

وبرغم كل هذا النقد ، والمحاذير ، فإن العطشان جدا ، الوحيد جدا ، المفرغ جدا ، حتى لو كان مثلـي - حتى لو أدرك أن هذا الغمر بالحنان ، والحب "بالراحة" ليس هو حاجته تماما ، فإنه من فرط احتياجـه (من كثر ما أنا عطشان) ، يجد نفسه بعد كل خوفاته ، وحساباته (باخاف أشرب كده من غير حساب) يجد نفسه غير قادر على رفض النهلـ في المـتاج ، وهو لا يتمنى أكثر من قطرة واحدة مما يجري أمامـه ، فلا يستطيع الرفـفـ ، ويعلم أن الأهلـ ينتظـرهـ في التـمـادـيـ في أيـ من الـاتـجـاهـينـ ، فيـنـتـهـيـ المـتنـ بـهـذـهـ النـهاـيـةـ الـوـاقـعـيـةـ الـمـؤـلـةـ قـائـلاـ:

من كـثـرـ ما أنا عـطـشـانـ باخـافـ أـشـرـبـ كـدـهـ منـ غـيرـ حـسـابـ!
لـكـنـ كـمانـ:

مش قادر أقول لأهـ وـاـنـاـ نـفـسـيـ فـنـدـعـةـ مـيـهـ منـ بـرـ الحـنـانـ!
يا هـلـتـرـ:

أـحـسـنـ أـمـوـتـ مـنـ العـطـشـ؟
وـلـاـ أـمـوـتـ مـنـ الـخـرـقـ؟ـ!

وـأـخـيـراـ: إـلـيـكـمـ المـنـ جـمـعـمـاـ

لـعـلـهـ يـخـفـفـ مـنـ آـثـارـ عـدـوانـ تـدـخـلـ الشـرـحـ الجـافـ

(1)

والـنـظـرـهـ دـىـ رـخـرـهـ عـجـبـ.

ما باشوفـشـ فـيهـ إـلـاشـئـ كـمـاـ الحـنـانـ.

لا لـهـ شـروـطـ وـلـاـ سـبـ.

وـأـقـولـ لـنـفـسـيـ يـاـ تـرىـ:

هـوـاـ حـنـانـ الدـنـيـاـ كـلـهـ اـجـمـعـ اللـيـلـهـ هـنـاـ؟

كـمـا تـرـعـه سـابـقـتـ فـالـغـيـطـانـ،
إـلـى بـطـونـها اـشـفـقـتـ

(2)

وـالـمـيـةـ بـالـرـاحـةـ بـتـطـفـيـ فـ"ـالـشـرـاقـيـ"
مـنـ دـوـنـ وـلـاـ سـاقـيـةـ تـنـوـحـ،
وـلـاـ قـادـوـسـ وـلـاـ شـادـوـفـ.
المـيـةـ تـغـمـرـ وـالـخـنـانـ بـيـنـبـشـيـشـ القـلـبـ الـخـزـينـ،
وـالـقـلـبـ إـلـىـ مـالـوـشـ حـبـيـبـ،
وـالـقـلـبـ إـلـىـ مـنـ عـمـاـيلـ النـاسـ بـقـىـ حـتـّـهـ خـشـبـ،
وـالـقـلـبـ إـلـىـ اـتـهـمـتـ دـقـاتـهـ أـصـبـحـ مـثـلـ كـورـهـ مـنـ الشـرابـ،
تـضـرـبـهـ رـجـلـينـ الـعـيـالـ طـوـلـ النـهـارـ.

وـانـ جـتـ عـلـىـ أـزاـزـ اـمـ هـاشـمـ يـبـقـيـ يـوـمـ أـزـرـقـ وـطـيـنـ،
يـالـكـورـهـ تـتـشـرـمـطـ يـاـ إـمـاـ انـ الـعـيـالـ يـتـفـرـكـشـواـ.
حتـىـ إـذـاـ اـزاـزـ "ـاـمـ هـاشـمـ"ـ مـاـ اـتـكـسـرـشـ.
مـشـ صـحـتـ "ـاـلـأـسـطـىـ إـمـامـ"ـ مـنـ غـفـلـتـهـ.
"ـوـالـلـىـ يـصـحـىـ النـاسـ يـاـنـاسـ أـكـبـرـ غـلـطـ"ـ!

(3)

وـارـجـعـ أـشـوفـ نـهـرـ الـخـنـانـ
الـقـاهـ بـيـطـفـيـ فـ"ـالـشـرـاقـيـ"ـ بـدـونـ "ـأـوـانـ"
لـكـنـ الـشـرـاقـيـ مـنـهـمـاـ شـقـقـهـاـ الجـفـافـ؛
مـيـهـ رـاحـ تـرـوـيـهـاـ مـخـ،
لـكـنـ كـمـانـ

إـنـ سـابـتـ المـيـهـ عـلـىـ الـعـمـالـ عـلـىـ الـبـطـاـلـ حـاـتـفـرـقـ أـرـضاـ،
حتـىـ لوـ الـأـرـضـ شـرـاقـيـ مـلـشـقـقـهـ،
وـلـاـ الزـرـاعـةـ بـدـونـ أـصـوـلـ؟ـ
مـشـ لـازـمـ الـأـرـضـ تـجـفـ وـتـتـعـزـقـ؟ـ!
أـوـ ضـرـبـةـ الـخـرـاثـ تـشـقـ الـأـرـضـ تـقـلـبـ تـبـرـهـاـ؟ـ!

(4)

وـالـنـظـرـهـ إـلـىـ بـتـغـمـرـ الـكـوـنـ بـالـخـنـانـ مـنـ غـيرـ جـسـابـ بـتـقـولـ:

"خِرَام . . . ، يَا تَاسِ خِرَام :
أَرْفَ الشِّرَاقِي مُشْقَقَة ، جَاهِزَه ،
بِلَاشْ نِجْرُوح شُغُورُه بِالسَّلَاح"

.....
يَا نَاسِ يَا هُوَ ! ! ! !
بَقِيَ دَا كَلَام ؟ ! ! بَقِيَ دَا حَنَان ؟ ! !
"الْزَرْعُ لَازِمٌ يِثْرُويٍ" ! أَيُوهُ صَحِيحٌ ،
بَسْ كَمَانْ : الْزَرْعُ لَازِمٌ يِثْرَاعُ أَوْلَ،
مَاذَا وَإِلَّا : الْبَذْرَةُ حَاتِّبَتْ وَبِسْ .

(5)

يَا سَتِ يَا صَاحِبِيَّةِ بُحُورِ الْخَبَ وَالْخَيْرِ وَالْخَنَانِ :
إِوْعَى يِكُونُ خُبَيْكَ دَا خَوْف ،
إِوْعَى يِكُونُ حِبَكَ ذَهَهَ "قِلَّةُ مَافِيشْ".
إِوْعَى يِكُونُ حِبَكَ طَرِيقَه لِلْهَرَبِ مِنْ مَا شَكَهُ الْخَرَاثُ ، وَضَخِيَانُكَ
بَطْوُلُ الْلَّيْلِ لِيَغْرِقَ زَرْعَنَا .

(6)

مِنْ كُثُرِ ما اَنَا عَطْشَانِ بَاخَافِ أَشْرَبُ كَدِهِ مِنْ غَيْرِ حِسَابِ !
لَكِنْ كَمَانْ :
مِشْ قَادِرْ أَقْوَلُ لَاهُ وَانَا نَفْسِي فِي نَدْعَةٍ مَيْهَ مِنْ بَجْرِ الْخَنَانِ !
يَا هَلْتَرِي :
أَحْسَنُ أَمْوَاتِ مِنْ الْعَطْشِ ؟
وَلَا أَمْوَاتِ مِنْ الْغَرْقِ ؟ !